صفحات فى الأدب الالمانى

فيلاند WIELAND

بقلم الدكتور على مظهر

هو (كريستوف مارتين فيلاند)، ولد فى الخامس من شهر سبتمبر سنة ١٧٣٣ بالقرب من بيبراخ، وكان أبوه قسيساً من الشباب، ثم صار كبير الوعاظ فى مدينته التى أقامت بها أسرة فيلاند منذ زمان بعيد.

نشأ (فيلاند) وربى تربية دينية شديدة، وكان فى مدرسة (كلوستر برجن) القريبة من (مجد برج) من سنة ١٧٤٧ — ١٧٤٩، وقد استمد أربابها من روح سبقسر تعاليمها ونظمها، وصار أحب الكتاب إليه فى ذلك العهد هما: شيشرون، وإبكزينوفون؛ وتعلم هناك الفرنسية، وقرأ بعض كتب فولتير وغيره من أحرار مفكرى الفرنسيين؛ ولما ظهرت قصة «المسيح» المنظومة شعراً من قلم (كلوبشتوك) سنة ١٧٤٨ تركت فى نفسه أكبر الأثر، واستولت على لبه، وأصبح يتحمس لناظمها: ويجله: ويبجله؛ ثم سافر سنة ١٧٤٩ إلى مدينة (أرفورت) ليستزيد علماً، ولبث فى منزل أحد أقاربه الأستاذ (باومر) سنة كاملة وهو عملاق، وفيها أطلعه باومر على قصة (دون كيشوت) التى حاول أن يأتى بمثلها فيما بعد، ثم رجع إلى منزل أبويه سنة ١٧٥٠، وأقام مدة قصيرة جعل فيها كل ما نظمه حتى ذلك الحين — طعمة للنيران؛ فلحق أمه الأسى والحزن الشديد، وكانت بابنها اليافع معجبة، وعرف (سوفى فون جوترمان) فى (بيبراخ) وعقد خطوبته عليها، ولما كان يناقشها ويحادثها آثار فى نفسه ذلك العزم على إنشاد قصيدة حكم ومواعظ، موضوعها «طبيعة الأشياء، أو طبيعة الدنيا الكاملة»، وقد أعلن الحرب فيها على المادة، معتمداً على ما جاء بالإنجيل فى ذلك الصدد؛ ولما بلغ السابعة عشرة من عمره التحق بجامعة (توبنجن) — من سنة ١٧٥٠ حتى ١٧٥٢ — ليدرس بها القوانين، ولم يقتصر عليها، بل ضم إلى دراستها اللغات، والفلسفة، والتاريخ؛ وقد كتب حينئذ كتباً خلقية وغيرها عارض بها (أوفيد)، وقوى ميله للتقوى والصلاح عند ما أقام فى (تزيورخ)، وقابل بودمر، وقد أرسل له فيلاند سنة ١٧٥١ قصيدة أبطال من نوع الملاحم، ولكنه لم يتمها، وأسماها (أرمنيوس) ليصدر حكمه عليها، فأضافه

هذا فى منزله فى السنة التى تلتها ؛ وعند بوردو فى منزله ـ وهو على صلة متينة به ـ نظم قصيدته « إبراهام المبتلى » ، كما نظم غيرها ، وبيناهو فى مدينة (تزيورخ) جاءه نبأ من خطيبته تطلب فسخ الخطوبة التى عقداها معاً ، وجاءته الأنباء بزفافها إلى غيره ، لأن بعض ظروف أسرتها اضطرتها إلى ذلك ؛ ولم يلبث فيلاند طويلا حتى اختاره بعض سكان (تزيورخ) معلماً لأولاده سنة ١٧٥٤ ، ثم إنه انتقل إلى (برن) حيث شغل منصباً كمنصبه المذكور فى (تزيورخ) ، ثم عاد إلى (بيبراخ) سنة ١٧٦٠ ، وصار شيخاً وكاتم سر بها ؛ وبعد خمس سنوات بنى بسيدة تم له معها الرفاه ورزق البنين الكثيرين ، وكان نعم الأب رخى العيش هنىء البال والخاطر ، وما لبث فيلاند أن حسنت علاقاته مع خطيبته السابقة (سوفى) ، وكان يكثر التردد عليها وعلى زوجها (جراف كونت ستاديون) الذى كان وزيراً ، وكان يلقى من الاثنين ترحاباً ؛ وباحتكاكه بذلك الوزير الكبير الحنكة الكثير التجارب ، العالم بآراء الإيضاحيين الفرنسيين والانجليز ـ عرف الشاعر ما عليه الطبقات الراقية من التهذيب والآداب ، وما هم فيه من عيش ناعم ، وعلم بالأمور . ولما كان فى بيئة تخيرت كل ما هو فرنسى من تهذيب ومزاج وتذوق ما ينتسب للفرنسيين ؛ فقد أصبح فيلاند بعدها يعتقد أن الحكمة فى الاستفادة كل الفائدة من المسرات الحسية ، وأن الخير فى الاستمتاع الكلى بما فى هذه الحياة من متاع ، وترى ذلك واضحاً كل الوضوح فى (رادين) وفى غيرها من الحكايات ، حيث يصف ما كانت عليه جاهلية الإغريق من حب للشهوات والملاذ الحسية ؛ ولما قرأ الناس له تلك الآراء وسمعوا منه تلك الأنغام التى يضرب على أوتارها ، قام بعضهم فى وجهه ، وقد أحرق بعضهم مؤلفات فيلاند سنة ١٧٧٣ لما اشتموه فيها من رائحة خبيثة فى زعمهم ، وقد أسدل ستار النسيان على جل هاته الرسائل ، كما تنومى ما قاله من شعر سقيم ظاهره النسك والورع أول ما فرض الشعر ، وقد تخير فيلاند أسلوب الروايات إلى جانب ما للحكايات من تكوين وشكل ليعلن فيها آراءه . وكان يقتدى بالفرنسيين والانجليز ، نخص منهم بالذكر : فيلدنج ، وسترن ، وسويفت ؛ وكان يعمل على تقليدهم فى مزاحهم وفكاهتهم ، وكان يتخذ لحوادثها مسارح فى أسبانيا ، وفى الشرق ، وفى بلاد اليونان عادة ، أعنى أنه لم يكن يجعل مشاهد قصصه وحكاياته فى بلاد ألمانية ، بل إنه كان يصبغها صبغة أجنبية ، وتراه يقلد (دون كيشوت) التى كتبها سرفانتس فى رواية (دون سلفيو فون روزالفو) التى نشرها سنة ١٧٦٤ ، ثم إنه نشر بعدها بعامين أو ثلاثة رواية (أجاثون) ، وهى أشهر ما كتب ، وقد أتى فيها على وصف ما اعتراه هو من التحول والانقلاب ؛ فيريك أحد أشياع أفلاطون المدعو أجاثون ومعه أحد الصوفية المسمى هيبياس ؛ وهو يريد أن يقنعه بكذب مثاله

الأعلى فى الحياة ، وفساد رأيه فيها ، وهو يجهد نفسه ليحببه فى احط مبادىء الماديين وإفساد ما جاءوا به،بأن قال له : إن الذى يدعو الإنسان إلى العمل فى هذه الدنيا ، إنما هو أن يتطلب لنفسه كل لذة ، ويتخير لنفسه خير ما فى الأشياء وأطيبها ؛ وفى سنة ١٧٦٨ نشر روايته (موزاريون) ، جعل فيها فلسفة الظرفاء ، وكان زعيمها (موزاريون) يعيب على فلسفة الروائيين والفيثاغوريين ، وقد جعل زعيميها (كليانت) و (تيوفرون) .

ومات (الجراف كونت شتاديون) وانفض من كان يلتف حوله ، فما لبث (فيلاند) حتى دعى ليكون أستاذاً للفلسفة فى جامعة (أرفورت) سنة ١٧٦٩ ، فتقبل الدعوة وسار يحدوه البشر ، وعندها تقمص روحاً غير روحه .

واخذ يدرس فلسفة التاريخ ، ونشر فى سنة ١٧٧٢ روايته الملأى بالحكم والمواعظ ، وأسماها « المرآة الذهبية ، أو ملوك شيشيان » ، وقد جعل حوادثها تجرى فى الشرق ، وأخذ ينفث آراءه فى نظام الحكومات وفى السياسة الداخلية والخارجية، ولما طالعتها أميرة (فيار الهرتزوجين إميليا) تركت فى نفسها أحسن الأثر،فأرسلت فى طلب (فيلاند) ليأتى إلى (فيار) ويكون مربياً لأولادها ، وكان ذلك فى نفس السنة التى نشر فيها روايته ، ولبث فى تهذيبه للأمراء ثلاثة أعوام،وعند ما ولى الأمير(كارل أوجوست) الحكم، اختير ليكون مستشاراً للبلاط ، وانقطع لدراساته،ولقرض الشعر،وحسنت علاقته مع جيشه،ثم مع (هردر) و(شلر) ، ونشر روايته التهكمية (الأدريريون) سنة ١٧٧٦ يطلعك فيها على النضال بين المذج والطبقة الدنيا ، ويريك فيها ديمقراط الفيلسوف الذى نشأ فى (أديرا) إحدى مدن تراقية الصغيرة،ويريك الفيلسوف ـ إبان سفره إلى موطنه ـ راغباً فى بث تعاليمه الحديثة بينهم لكى يعتنقوها، وأمامه جماعة المذج من بلده وما هم عليه من قصر نظر، وما لهم من آراء محدودة وضيق صدر ، ثم إن فيلاند نشر حكايات وقصصاً أخرى فى مجلة كان أنشأها عند ما دعى إلى (فيار) ، كان ينشر فيها أهم المؤلفات ، ويصدر أحكامه عليها، وقد نشر فيها سنة ١٧٨٠ أشهر ما قرض فيلاند من شعر ، نعنى بذلك قصيدته (أوبيرون) على منال الخياليين ، وكان قد نشر كثيراً من قصصه الصغيرة على ذلك المنال من قبل، وكان يقتدى فى ذلك بشكسبير ، فقد سار فى قصيدته (أوبيرون) على غرار هذا الشاعر ، كما أنه قلد رواية فرنسية قديمة اسمها (أفون ده بوردو)،إذ تراه يمزج ثلاث حوادث هامة بعضها ببعض فى تلك الملحمة الخيالية، وقد أحسن فى مزجها،فهو يصف لك مغامرة (هيون) الذى احب(رضا)،وصالح (تيتونيا) مع (أوبيرون) ؛ وملخص القصة هو : أن كارل الكبير أمر الفارس هيون ابن الهرتزوج فون جوينه أن يخرج راكباً جواده فى طريق وعر وعمل كثير المخاوف والأخطار ليكفر

عن جرم أتاه ، إذ كان قد قتل ابناً للملك فى الحرب ، وكان على الفارس أن يذهب إلى بغداد، وأن يقتحم الأبواب حتى يصل إلى بهو الحفلات عند الخليفة اقتحاماً، ويضرب عنق الخليفة ، ثم يجلس إلى يساره ، وأن يحمل بنت الخليفة عروساً له ، وأن يحضر معه أربعاً من أسنانه الأمامية وخصلة من لحيته؛ وقد أراد الملك (أويرون) أن يساعد (هيون) فى مهمته الشاقة، فأعطاه قرناً وكأساً ساحرين ، وبهما أتم هذا ما أريد منه ، وحصل على (رضا) الجميلة بنت الخليفة عروساً له ، ولما كان الاثنان قد نذرا أن يتحملا اختبارات وآلاماً إذا ما تم لهما التوفيق ؛ فإنهما ظلا يختبران حبهما وإخلاصهما بأنواع عديدة من الاختبارات القاسية ، وبذا كفرا عن سيآتهما ورضى عنهما (أويرون) وصالحهما، وعاد الاثنان إلى (كارل) الكبير ورضى عنهما أيضاً بعد حديث يطول؛ وقد أجاد الشاعر الوصف الخيالى والتنسيق وتخير لها لغة مقبولة وبحراً سهلا ، فأقبل الناس على مطالعتها ، وقد قال عنها (جيته) فى خطاب أرسله إلى بعضهم : « طالما يليث الشعر شعراً ، والذهب ذهباً ، والبلور بلوراً ، فستظل (الأويرون) آية من آيات فنون الشعر المحبوبة التى يقدرها الناس حق قدرها».

وينشر فيلاند بعد ذلك بعشر سنين رواية (بيريجرينوس بروتيوس) على نظام الأحاديث ، وختم الشاعر حياته الشعرية سنة ١٨١٠ ، عند ما كتب رواية (أريستيب) ، صور فيها الحياة العقلية لأثينا أيام بريكليس، وقد أتمها على هيئة كتب تبودلت بين أريستيب وعظماء وعظيمات ذلك العصر، أمثال : كليونيداس، وديوجنيس، ولايس ، وغيرهم؛ وقد أكسب فيلاند تلك الصور القديمة مسحة حديثة فى التربية والعادات ونظام للمعيشة ، وأبدل قوام الحياة القديمة وألبسه روحاً حديثة فرنسية الطابع غالباً .

ولم يكن فيلاند مؤلفاً فحسب ، بل إنه ترجم ونقل عن اللغات الأخرى كثيراً ، فقد عرف الألمان الشاعر الكبير شكسبير لما ترجم له فيلاند آثاره إلى الألمانية ، وقد نشرها فى ثمانية مجلدات بزيورخ من سنة ١٧٦٢ إلى سنة ١٧٦٦ ، وقد نقل عنه اثنين وعشرين رواية تمثيلية كلها نثر ما عدا « حلم ليلة صيف » فقد نقلها منظومة ، ثم إنه ترجم مؤلفات لوسيان ورسائل هوراس وأهاجيه وكتب شيشرون ، وقد لزم فيها الصدق فى ترجمة الألفاظ ترجمة صحيحة ، ولو أنه نقل المعانى صحيحة فى أسلوب آخر غير الترجمة اللفظية؛ وانتقل فيلاند إلى رحمة مولاه فى العشرين من شهر يناير سنة ١٨١٣ بمدينة (فيمار)، ودفن فى ضيعة — كانت له فيما قبل — إلى جانب زوجه، وجوار حفيدة صديقة صباه (صوفى فون لاروش) .

ومع ما كان له من رأى فى الملذات والشهوات التى اتخذ هدفاً للطعن من أجلها ، فانه خدم الأدب الألمانى خدمات جليلة ، نذكر منها أهمها ، وهى :

١ — أنه اكسب اللغة ليونة ولطفاً ، وأكسبها المحبة فى القلوب ، وكانت من قبل على شىء كثير من الصلابة والقسوة ؛ وبذلك حول الأنظار إلى اللغة الألمانية وآدابها ، وجعل الطبقات العليا تستسيغها وتتذوقها ، وما كانت تعرف قبل اليوم غير ما هو فرنسى فى الذوق ؛ فلما جاء فيلاند وكتب ما كتب ، عطف الناس على تلك الآداب الألمانية وأخذوا فى مطالعتها .

٢ — أعاد للقريض ما كان قد حطه (كلوبشتوك) من قدره ، وأعطى لنفسه حرية كبيرة حين النظم .

٣ — أعاد للسخرية والألغاز والفكاهة على النهج الألمانى حقوقها ، وأكسبها بهجتها من جديد .

٤ — فتح أمام الشعر الألمانى ميدان الخيال مرة أخرى .

وقد جاء بعد فيلاند من أراد أن ينحو نحوه فى قصائد الأبطال الخيالية المضحكة ، كما أريد تقليده فى كتابة الروايات ، ولو أن بعضهم قد أساء التقليد ولم يحسن النسج على منواله ، ونرى أن نضرب صفحاً عن أولئك المقلدين .

على مظهر

محطـــــة

راديو مصر الملكية

بأول شارع فاروق بالعتبة الخضراء بعمارة الأوقاف حرف « ه » تليفون ٥٣٢٥٢

إذاعات غنائية ، موسيقى ، محاضرات لنشر الثقافة العامة ، مسابقات وتسهيلات خاصة لجميع التجار المصريين الذين يعاونون الغرفة التجارية فى مصر والاسكندرية لإذاعة إعلاناتهم . تسهيلات أخرى لشراء آلات الراديو للمشتركين على اختلاف أنواعها .

والادارة فى حاجة الى (بلاسيهات) لعمليات الاعلانات بضمان مالى أو شخصى ، لتتمكن من معونة التجار المصريين فى اتصالهم بالجمهور المصرى .

عاونوا هذا المشروع المصرى الصميم ، ليتحقق غرضه الاساسى فى نشر الثقافة العامة ، والمساهمة فى النهضة الاقتصادية المصرية .